من أعلام القضاء

الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل صالح ١٣٢٨هـ ١٤١٥هـ

إعداد: محمد بن عبدالله المقرن*

اسمه:

هو الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن ناصر بن عبدالرحمن، من أسرة آل صالح من البدور من الأشاجعة من المحلف من الجلاس من ضنا مسلم من قبيلة عنزة القبيلة الربعية العدنانية.

مولده:

ولد في مدينة المجمعة عاصمة بلدان سدير عام ١٣٢٨هـ هكذا أخبر عن نفسه مراراً، وما أثبت في الحفيظة ١٣٣١هـ.

نشأته:

نشأ - رحمه الله - يتيماً فقد توفيت أمه وعمره سنتان، وتوفي والده وعمره خمس سنوات، فكفله أخوه الأكبر عثمان، فنشأ عنده نشأة حسنة، ولما بلغ سن التمييز أدخله الكتّاب، فتعلم القراءة والكتابة على يد المقرىء الشيخ «أحمد الصانع»، فحفظ القرآن

* حاصل على شهادة بكالوريوس إعلام من جامعة الملك سعود ١٤١٢هـ.
وبكالوريوس أصول الدين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٨هـ.
موظف بإدارة العلاقات العامة والإعلام بوزارة العدل.

الكريم قبل تجاوز العاشرة، ثم بدأ يتعلم مبادىء العلوم، وقد ظهر نبوغه مبكراً، حتى أختير إماماً للمسجد الجامع في صلاة التراويح، وعمره حينذاك خمسة عشر عاماً.

مشايخه:

كان شيخه الذي لازمه واستفاد منه هو قاضي سدير الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، فقرأ عليه في التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم، كما قرأ عليه في الفرائض والنحو، وكان يقول: لقد أسهمت في عمل حاشية العنقري على الروض المربع، وكانت دراسته كلها حفظاً؛ لضعف بصره منذ صغره، كما أخذ عن الشيخ عبد الله بن عبدالوهاب بن زاحم حينما كان في المجمعة مرافقاً للشيخ عبدالله العنقري، وأخذ عن الشيخ محمد الخيال، والشيخ حمد بن مزيد آل عثمان وهما من علماء المجمعة.

ولما تولى الشيخ عبدالله بن حميد القضاء في المجمعة أخذ عنه شتى العلوم الدينية والعربية، كما أتم دراسة التجويد على شيخ القراء بالمسجد النبوي الشيخ حسن بن إبراهيم الشاعر، وذلك بعد أن بدأ بالإمامة بالمسجد النبوي.

أعماله:

كان لفصاحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله- وبلاغته وعلمه أن عَيَّنه شيخه الشيخ عبدالله العنقري إماماً وخطيباً للمسجد الجامع في المجمعة، وهو لم يبلغ العشرين، ولاستقامته ونشاطه وغيرته الإسلامية عَيَّنه شيخه مع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم صار رئيساً لهم، وكان يقوم بالتدريس إذا غاب شيخه.

ولما نُقل الشيخ عبدالله بن حميد من قضاء المجمعة رشح الشيخ عبدالعزيز بن صالح لقضاء المجمعة، فاعتذر، ثم سافر إلى الرياض سنة ١٣٦٣هـ وكان الشيخ عبدالله بن زاحم قاضياً في الرياض ومساعده الشيخ محمد الخيال، فطلب الشيخ عبدالله من الملك عبدالعزيز أن يعمل الشيخ عبدالعزيز عنده قاضياً في الرياض؛ لأنه لم يتولَّ القضاء من

قبل فوافق الملك عبدالعزيز .

فباشر الشيخ عبدالعزيز القضاء في محكمة الرياض، وفي شوال من ذاك العام صدر أمر الملك عبدالعزيز بتعيين الشيخ عبدالله بن زاحم رئيساً للمحاكم والدوائر الشرعية في المدينة المنورة، وعُين الشيخ محمد الخيال والشيخ عبدالعزيز قاضيين فيها، وفور وصول الشيخ عبدالعزيز إلى المدينة جلس للتدريس في المسجد النبوي وكان عنده حلقة كبيرة، ولما أحيل الشيخ محمد نور كتبي إلى التقاعد ١٣٦٥هـ، وكان مساعداً لرئيس المحاكم، عين الشيخ عبدالعزيز بن صالح مساعداً لرئيس المحاكم، وفي عام ١٣٦٧هـ عينه الشيخ عبدالله بن زاحم مساعداً لفضيلة الشيخ صالح الزغيبي إمام وخطيب المسجد النبوي، ولما توفي الشيخ صالح سنة ١٣٧٢هـ عين الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالعزيز إماماً وخطيباً للمسجد النبوي ثم عين رئيساً للمحاكم والدوائر الشرعية بعد وفاة الشيخ عبدالله بن زاحم في ١٢/ ٧/ ١١٣٧٤هـ.

ولما أُسس مجلس القضاء الأعلى، ومجلس هيئة كبار العلماء عين الشيخ عبدالعزيز بن صالح عضواً فيهما، وكانت رئاسة هيئة كبار العلماء دورية، فتولى الشيخ عبدالعزيز الرئاسة أكثر من مرة، كما أسند إليه مهمة الإشراف على الشؤون الدينية في المدينة المنورة، واستمر في هذه الأعمال حتى أقعده المرض وعجز عن أدائها فأحيل على التقاعد عام ١٤١٤هـ.

طلابه:

استفاد من الشيخ طلاب كثيرون عندما كان في المجمعة ينوب عن شيخه العنقري، وعندما قدم إلى المدينة وجلس للتدريس في المسجد النبوي، وفي منزله منذ عام ١٣٦٤هـ وقد تلقى العلم عدد كبير من الطلاب في الفرائض والفقه والتفسير والتاريخ واللغة ومن درس عليه ففي المدينة :

١ - الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم بن فنتوخ .

٢ - الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم إمام وخطيب المسجد النبوي ورئيس المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة سابقاً.

٤ - الشيخ: سيف بن سعيد.

٥ - الشيخ عبدالله بن عثمان بن صالح الصالح.

٦ - الشيخ عبدالله بن حمد الخربوش.

٧ - الشيخ محمد صديق جلالي.

صفاته:

كان - رحمه الله - متواضعاً ورعاً، محبوباً من الجميع، وكان يقدر أهل العلم ويحبهم، رفيقاً في وعظه وإرشاده. فيه مرح العلماء ودعابة الفقهاء، سليم القلب، متعدد الثقافة، يعيش عيشة الصالحين الزاهدين، لم يتقاض راتباً على إمامة المسجد النبوي ولا على رئاسة هيئة الإشراف فيه، بل كان يعمل هذا تطوعاً، وكان خطيباً مصقعاً ظل يرتجل خطبته في المسجد النبوي ارتجالاً مدة (٤٥) سنة أو تزيد، كما كان - رحمه الله - صاحب صوت شجي يبعث في النفس الخشوع والخشية. يقول الشيخ عطية محمد سالم المدرس بالمسجد النبوي والقاضي بالمحكمة - رحمه الله- في كلامه عن الشيخ عبدالعزيز بن صالح - رحمه الله -: «.. عرفه المنبر الشريف في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوتي ملكة وسجية، وبلاغة وحكمة وسلاسة ووضوحاً، يتخير الكلمات وتسلسل العبارات، يحسُّ السامع منه صدق الحديث، فيتابعه، بكل الشعور والإحاسيس، خلواً من التكلف، بعيداً من التعمق، ليس بالمطنب المثقل ولا بالموجز المخل، بعيداً عن التكرار الممل.

لقد عرفه المحراب خمسين عاماً يودي الصلوات الخمس إماماً حافظاً لكتاب الله، تالياً مجيداً، حسن الصوت، رقيق القلب، تتجلى روحانيته في شهر رمضان، حينما يحيي ليله في مسجد رسول الله ﷺ، فيستمتع المصلون بحسن تلاوة القرآن، ويستشعرون

شرف المكان والزمان، فكم من قلوب وعت فخشعت، وكم من عيون رقت فدمعت وكم من دموع جرت وهطلت».

ومِمّا تميز به – رحمه الله – قوته في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، يشتد غضبه إذا انتهكت محارم الله، أو تسلط القوي على الضعيف، وله مواقف في نصرة الحق يعرفها الصغير والكبير، وكان شديد العناية بالمحافظة على تماسك الأسرة المسلمة وحمايتها من كل شيء يسيء إليها، ظهر ذلك بجلاء في معالجته للقضايا الأسرية التي تُعرض عليه في المحكمة والتي كان يحيطها دائماً بسرية كاملة، وفي عنايته بهذا الجانب في خطبة الجمعة. وكان – رحمه الله – كريماً يُنفق المال إنفاق من لا يخشى الفقر، ينفق كثيراً من ماله في أوجه الخير ومساعدة الناس بسرية تامة حتى عن أهل بيته وأبنائه، ولم يُعرف الكثير من ذلك إلا بعد وفاته.

ومما تميز به أيضاً بعده وكراهيته للعنصرية والعصبية بجميع صورها، الناس في مجلسه سواء فأكسبه ذلك محبة وتقدير جميع فئات المجتمع، وهو منهج إسلامي متين، إهماله يؤدي للتباغض والتنافر بين الناس.

نظامه اليومي:

كرّس الشيخ – رحمه الله – غالب وقته لعمله ومقابلة الناس، فالصباح إلى بعد صلاة الظهر في المحكمة، ومن بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء في مجلسه في البيت يستقبل الناس يستمع إلى مشاكلهم، ويجيب على أسئلتهم ويعالج قضاياهم، ويفد إلى مجلسه العلماء والأدباء ورجال الفكر ووجهاء الناس من داخل المملكة وخارجها، يتدارسون كثيراً من الأمور الخاصة والعامة حتى أصبح مجلسه مضرب المثل.

رحلاته:

قام الشيخ – رحمه الله – بعدة رحلات خارج البلاد للدعوة إلى الله، وذلك بدعوات

من حكومات الدول، وهي على النحو التالي: ١ ـ رحلة إلى جمهورية نيجيريا عام ١٣٨٣هـ بدعوة من رئيسها، قام خلالها بزيارة عدة مدن بها، وافتتح مسجدين.

٢ ـ رحلة إلى جمهوررية مالي عام ١٣٩٤هـ بدعوة من حكومة مالي، زار فيها عدداً من المدن وخطب الجمعة في إحداها.

٣ ـ رحلة الشيخ إلى جمهورية السنغال عام ١٣٩٥هـ بدعوة من رئيسها، وألقى في زيارته عدداً من الكلمات التوجيهية، كما خطب في جامع داكار خطبة بيّن فيها محاسن الدين الإسلامي.

٤ ـ رحلة إلى جمهورية باكستان الإسلامية عام ١٣٩٦هـ وألقى خطبة الجمعة في إسلام آباد وفي لاهور وفي كراتشي، كما زار عدداً من المدن، وزار أكاديمية العلماء في لاهور ودار القضاء والمدرسة الإسلامية.

ذكاؤه ونباهته:

كان من أبرز صفات الشيخ التي تميز بها الذكاء المفرط والنباهة وقوة الذاكرة، عرف ذلك عنه كل من خالطه وتعامل معه، أورد الشيخ عطية سالم – رحمه الله – قصة حضرها بنفسه تدل على توقد ذكاء الشيخ عبدالعزيز بن صالح وتمكنه من عمله يقول: «.. من ذلك أنه نظرت قضية قتل، فادعى المدعى عليه أنه لم يكن حاضراً في منطقة وقوع الجريمة وكان في مكان يبعد عنه قرابة مسيرة يومين! ولديه شهود على ذلك من أهالي المنطقة التي كان بها.

ولطول ما بين نظر القضية وتاريخ الجناية ارتاب الشيخ في مدى صحة شهادة الشهود وإمكان صدقهم، فمنع إدخالهم المجلس، وكان المتهم يلبس غترة على غير المعهود من جماعته ومعها عقال، وكان المدعي العام حاضراً ويلبس «جاكيت» أو ما يسمى «كوت» فأمر المدعي العام بنزع كوته، وأن يلبسه المتهم، وأمر المتهم أن يعطي غترته وعقاله للمدعي العام مع مبادلة المكان في جلوسهما، ثم أمر ـ رحمه الله ـ بإدخالهما منفردين «أي

الشاهدين»، ولما حضر الشاهد الأول سأله الشيخ عن معرفته للمتهم، ومنذ كم فأجابه، فسأله تعيينه من الحاضرين، فأشار إلى المدعي العام، ولم يظهر له الشيخ أي ملاحظة واستمر في سماع ما عنده.

ثم استدعى الشاهد الثاني، فسأله كما سأل الأول، فأشار إلى المتهم فعلاً، فسأله عما لديه، فأخذ يَسْرُد الكلام سَرْدَ مَن كتب له فحفظ حرفياً، مع ذكر الأيام والتواريخ فسأله عن زواجه وآخر مولود له وعن تاريخ ذلك، فلم يكن يتذكر، وكان بعد الحادث فواجهه بقوله: أمور تخصك وتهتم لها في حياتك، فلم تذكرها، وأمر لا يخصك ولم تكن في يوم من الأيام تتوقع سؤالك عنه وتتذكره باسم اليوم وتاريخه من الشهر، فشرق الرجل وطلب الماء.

وكان قد حضر الجلسة وفد قضائي سوري، منه رئيس محكمة دمشق، وكنت على يسار الشيخ وهو عن يساري، فكتب سؤالاً في ورقة صغيرة وقدمه إليّ لأقدمه إلى الشيخ لمواجهة المتهم، فلما قرأته أمسكت الورقة وقلت له: انتظر حتى النهاية، وبعد قليل، وفي مناقشة الشاهد، وجه الشيخ إليه عين السؤال الذي كان يريد رئيس الوفد تقديمه، فاعدت الورقة إليه، وبعد انتهاء الجلسة كان تعليق الوفد بقولهم: ما كنا أبداً نظن أن القضاء الشرعي بهذه المكانة دقةً واستقصاءً ونقاشاً.

مرضه ووفاته:

أصيب ـ رحمه الله ـ عام ١٤٠٩هـ بمرض الكبد، فأشير عليه بالسفر إلى أمريكا فسافر إليها ورجع بعدها متماثلاً للشفاء.

وفي عام ١٤١١هـ سافر مرة أخرى إلى أمريكا، ثم رجع وحالته غير جيدة، ولم يتوقف عن أداء أعماله إلا بعد سفره الثاني، إذ اشتد عليه المرض، وأصيب بالاستسقاء وقد توفي ـ رحمه الله ـ فجر يوم الاثنين ١٧/ ٢/ ١٤١٥هـ وكانت وفاته في مدينة جدة، ثم نقل إلى المدينة المنورة، وصُلي عليه بعد صلاة المغرب في المسجد النبوي، ودفن في البقيع وصلى

عليه جمع غفير من الناس، وصار مشهداً عظيماً تجلى فيه تقدير الناس ومحبتهم إياه.

أولاده:

رزقه الله ثمانية أولاد، وأربع بنات، والأولاد هم:

١ ـ صالح، توفي في ٢٤/ ٦/ ١٤١٦هـ وكان يعمل في التجارة.

٢ ـ محمد ويعمل محاضراً في كلية العلوم بجامعة الملك عبدالعزيز فرع المدينة.

٣ ـ عبدالرحمن، ويعمل أستاذاً في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

٤ ـ أحمد، ويعمل في التجارة.

٥ ـ عبدالله، ويعمل في مشاريع المطارات بجدة، ويواصل دراسته العليا.

٦ ـ مساعد، ويعمل محاضراً في كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة.

٧ ـ منصور، ويعمل محاضراً في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة.

٨ ـ عادل، ويعمل معيداً في كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة.

رثاؤه:

لقد هز نبأ وفاة الشيخ مشاعر طلبته ومحبيه وسائر من عرف فضله أو سمع به، ونننقل هنا بعض ما بثته قلوب هؤلاء من أحاسيس عبّروا عنها بأقوالهم:

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة: «إن المغفور له كان معروفاً بجده واجتهاده وحرصه الدائم على الخير والعلم قضى أكثر من أربعين عاماً إماماً للحرم النبوي».

ويقول الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وإمام وخطيب المسجد الحرام: «لقد خسر العالم الإسلامي بوفاة فضيلة الشيخ

عبدالعزيز بن صالح عالماً جليلاً مكافحاً حتى آخر لحظة من حياته، وكان من أكفأ الرجال وأكثرهم إخلاصاً، يتعامل مع الجميع بإنسانية تفوق الوصف، وبحزم لا ينقصه لين».

وقال الشيخ عبدالله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء: «لقد كان ـ رحمه الله ـ سداً منيعاً في هذه المدينة الطيبة لأهل الحسبة، وكان عيناً رقيبة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حرباً على أهل البدع، وكان له في مجلس القضاء آثار حميدة».

وقال خالد محمد النعمان:

بكى لفقدك محراب ومحكمة
ومنبر من عليه الوعظ والخطب
من حسن حظك عشت العمر أجمعه
في روضة الخير قد طالت بك الحقب
زهاء خمسين عاماً ما تفارقها
تؤم في مسجد المختار تحتسب
قد كنت تدعو وآلاف مؤمنة
خوفاً من الله في الأسحار تنتحب
تتلو عليهم كتاب الله تحفظه
وتوعظ الناس والأنفاس تلتهب
يا شيخنا ما درى شخص بفقدكم
إلا ووجنته بالدمع تختضب
حزناً على نأيكم والموت يفجعنا
في كل حين بأحباب فنكتئب
عزاؤنا فيك أن الكل مرتحل
وأن من ظل حياً بات يرتقب

وقال عبدالعزيز الشاماني :

قـرأت شـعـراً فـكـاد الـشـعـر يـشـجـيـنـي

وصـاحـب الـشـعـر ظـل الـيـوم يـبـكـيـنـي

يـا صـاحـب الـشـعـر لا روع ولا حـزن

فـالـموت كـأس سـيـسـقـيـكـم ويـسـقـيـنـي

عـبـدالـعـزيـز أب لـلـكـل لـيـس لـكـم

يـبـكـيـه كـل أخ فـي الـلـه والـديـن

شـيـخ الـقـضـاة قـضـى بـالـعـدل فـي شـرف

ونـصـف قـرن إمـامـاً لـلـمـصـلـيـنَ

إمـام مـسـجـد خـيـر الخـلـق أجـمـعـهـم

وواعـظ الـنـاس بـيـن الحـيـن والحـيـنِ

مـا زلـت أذكـر وتـراً فـيـه أسـمـعـنـا

صـوت الـوداع وكـان الـصـوت يـشـجـيـنـي

المراجع:

١ ـ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، (علماء نجد خلال ثمانية قرون)، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٢ ـ فريد بن عبد العزيز السّليم، (فقيد المسجد النبوي)، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣ ـ إبراهيم بن عبدالله الحازمي، (من أعلام القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر) دار الشريف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

٤ ـ عبدالله بن محمد بن زاحم، قضاة المدينة المنورة «من عام ٩٦٣هـ إلى عام ١٤١٨هـ.» مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٥ ـ عبدالعزيز بن صالح العسكر، (من أعلامنا)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٦ ـ عبد الرحمن بن سليمان الحصين، (الشيخ عبدالعزيز بن صالح نشأته سيرته، أعماله، رحلاته)، مطبوع على الآلة الكاتبة.

ملاحظة:

تمت مراجعة الترجمة من قبل ابن صاحب الترجمة الشخ د. عبدالرحمن أستاذ الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.